مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية و الاجتماعية
المجلد (09) العدد (07) السنة (2022)
الصفحة 220-205

شعر ما قبل الإسلام رؤيا بيئية

Pre-Islamic poetry, an environmental vision

ليلى غضبان

جامعة الجلفة(الجزائر)، l.ghodbane@mail.univ-djelfa.dz

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2021/11/20
تاريخ القبول:2022/01/30

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

الملخص:

إشكاليّة هذه الدراسة متشعبة، وهي ترتبط بآليات اشتغال الشاعر وفق بلاغة البيئة في بناء مفهوم وجودي للشعر، فالشاعر تصوّر متماسك، وقد انخرط بهذا التصوّر في القضايا التي شغلت الشعريّة العربيّة القديمة.

البحث سيستثمر الفكر البيئي في تكونه الأول؛ وهي الحضارات الشرقية لإبراز وعي الشاعر به، فهو يتأوّل كلمات اللغة ويرسي دلالتها الاصطلاحيّة الجديدة على نحو تغدو معه اللغة تجربة، هكذا حمل الشاعر الكلام على غير ما وضع له اعتمادا على فهم خاصّ للكلمة، وذلك باستدعاء معنى منسيّ فيها.

الكلمات المفاتيح: شعر ما قبل الإسلام، الفكر البيئي، الفلسفات الشرقية.

ABSTRACT

The problem of this study is manifold, and it is related to the mechanisms of the poet's work according to the eloquence of the environment in constructing the concept of writing, and in his practice of it. To highlight the poet's awareness of it. The poet does not approach his concepts based on abstract intellectual consideration and does not subject them to systematic organization. Rather, he relies, in most cases, to his spiritual experience and his written practice.

Keywords:pre-Islamic Arabic poetry, oriental philosophies, environmental philosophy.

1 مقدمة:

تم ربط شعر ما قبل الإسلام بالبداوة والتخلف؛ أي تم ربط الشعر بغير الشعر، وتفسير الشعر بما هو ليس منه ولا يمت له بصلة، وهذا ما أثر على الشعر معرفيا. فصل الشعر عن الواقع (حيث وصف سلبا بالجاهلي)، والفصل بين وعي الشاعر ووعي الإنسان العادي لأنهما وعيين مختلفين. الشعر أكمل الفنون والوعي الذي يبدعه وعي متفوق يمتلك القدرة على أن يبني رؤية شمولية للعالم، فالشعر العربي ما قبل الإسلام هو رؤيا للعالم، ولأن الشعر رؤيا فهو فلسفة، فالشعر يتساوى مع الفلسفة فهما يقدمان رؤية للعالم تنظمه من جديد، واستخلاص القيم الإنسانية الخالدة.

الوعي الشعري وعي فلسفي؛ والاختلاف بين الوعي الشعري والوعي الفلسفي كامن في المنهج لا في الماهية، فالأول يوحد ذاته بموضوعه لأنه وعي حدسي، أما الوعي الفلسفي فيفصل بين ذاته وموضوعه، فالوعي الشعري يكشف عن ذاته بذاته والقيم التي يستخلصها هي ذاته أيضا وهي هذا الشكل الفني، فالوعي الشعري وعي جمالي. الشعر فن لغوي، واللغة موضوع الوعي الشعري وذاته؛ عندما نقول لغوية الشعر لا يعني الدخول في دوامة الانزياحات الشكلية وتفككها، بل لابد من رؤية مختلفة وجديدة للعالم، وليس السباحة السطحية في المعنى المعجمي للمفردات.

البحث سيتبع التحليل(دراسة تحليلية) مع المحايثة؛ أي دون إسقاط أي أفكار قبلية، هذا لا ينكر أن القراءة إبداع. والتحليل هنا لا يفرض على الشعر ما هو خارج عنه، بل ينطلق من ما هو جوهر الوعي الشعري قبل الإسلام وهو (الحركة والسكون)، حيث نجد في علم العروض يرمز للحركة ب(/) وللسكون ب(0)،كما أن البحث ينظر للوعي الشعري بالحركة والسكون ضمن وعي أوسع؛ وهو الوعي الفلسفي للفلسفات الشرقية البيئية، اعتمد البحث على مدونة وهي معلقات الشعر العربي قبل الإسلام.

2 الحركة والسكون:

سيتمتعريف الحركة والسكون فلسفيا؛ الحركة حالة من حالات وجود المادة، وبالمعنى الموسع هي التغير الذي يحصل في العالم، فلا يمكن أن توجد في العالم مادة بدون حركة ولا حركة بدون مادة (سعيد بلا تاريخ)، والحركة أنواع:

*الحركة في الكم وهي انتقال الجسم من كمية إلى أخرى، كالنمو والذبول.

*الحركة في الكيف وهي انتقال الجسم من كيفية إلى أخرى، كتبدل حرارته أولونه أو صفة من صفاته الأخرى.

*والحركة الأين وهي انتقال الجسم من مكان إلى آخر.

حركة المادة مطلقة، بينما حالة السكون نسبية ومجرد لحظة من لحظات الحركة؛ فالجسم يكون ساكنا في علاقته بحركة الأرض حول نفسها وحول الشمس، وحيث أن العالم لا نهائي فإن كل جسم يشترك في عدد لا نهائي من أشكال الحركة. ولا تعدو حالة الاستقرار والسكون أن تكون في الواقع حالة سكون نسبي ناتج عن التفاعل الحركي للجزيئات الصغرى في الجسم المادي، أي أن السكون هو دائما ظاهري، بينما الحركة دائمة ومتواصلة في الجسم الساكن نظرا إلى تفاعل جزئياتها الصغيرة للغاية واللامرئية. لقد أشارت نظرية النسبية التي أقرها أينشتاين، إلى أن أي زيادة في سرعة الحركة تتسبب في زيادة كتلة الجسم.

والحركة القسرية هي الحركة التي يكون مبدؤها بسبب ميل مستفاد من الخارج، كالحجر المرمي إلى فوق، على عكس الحركة الذاتية التي يكون مبدؤها بسبب ميل مستفاد من الداخل، كالحركة الإدارية. وقد ارتبط أصل مقولة الحركة الذاتية وتطورها، في تاريخ الفلسفة، بمسألة بداية العالم ووجوده ومسألة السبب الأول أو المحرك الأول. وقد حاول الماديون تفسير الحركة بقوى وصفات كامنة في الطبيعة ذاتها: فقالوا بتجمع العناصر الأولية وانقسامها (الفلسفة الأيونية)، وفسروا الحركة بالحب والبغض (أمبدوقلس)، وبالذرات المادية والخلاء (لوسيبوس، وديمقريطس)، ثم وضعت الأديان السماوية مصدر الحركة خارج العالم ونسبته إلى فعل الله. وفي القرن السابع عشر تحدث سبينوزا عن الجوهر الذي هو علة ذاته وعلة حركته، كما تحدث لايبنتز عن المونـاد الذي هو جوهر ذاتي الحركة ومحدد لذاته.

3 الديانات الشرقية:

1/3 آلهة العرب قبل الإسلام:

يعود البحث إلى آلهة العرب؛ لأن الشعر العربي ارتبط بالجانب الديني، حيث كانت القصائد الجيدة تكتب بماء الذهب على البردي وتعلق على جدار الكعبة؛ بمعنى كانت نصا مقدسا، وانطلاقا من مبدأ الثنائية نجد:

- **الأَحْوَزي:**

وقيل اسمه كعيب (أهل اليمن) « كان في قبة القليس سلاسل فضة، وكان في القبة أو البيت خشبة ساج منقوشة طولها ستون ذراعا يقال لها كعيب، وخشبة من ساج نحوها في الطول يقال لها: امرأة كعيب، كانوا بهما في الجاهلية، وكان يقال للكعيب: الأحوزي والذي نفهمه أن هذه الآلهة شبيهة بأساف ونائلة إنها ثنائية المذكر والمؤنث أو دلالة الخصوبة »(الساسي 2014)

- **ذو الشرى:**

نجد « ذو الشرى، زوج اللات: أي هو إله مذكر، كان إله شمسيا في صخرة مربعة في معبده الرئيسي »(الساسي 2014)

- **ذو الكفين:**

« حسب ابن الكلبي والأزرقي قد يكون من خشب، ويبدو وأنه كان تمثالا عظيم الكفين، أو حجرا فيه نتوءان على هيئة كفين حسب الباحث فراس السواح، ونحن نرى أنه كان رمزا للعطاء والهبة والخير في بسط الكفين، أو قد يكون رمزا للشر من خلال بسط كفيه للتعبير عن العنف والشدة والغلطة، إنها ثنائية الخير والشر »(الساسي 2014)

- **اللات:**

وإن كانت آلهة العرب الكبرى، وأم الآلهة فإن الباحث فراس السواح يرى أن أصولها البعيدة ليست عربية وإنما سامية كنعانية، فالاسم في شكله الأصلي هو إيلة أو أيلات من اسم كبير الآلهة الكنعانية إيل، وإيل يحيلنا على أنه أصل اسم الله »(الساسي 2014)هذا الرأي الأول، أما الراي الثاني ف « .. يرى الأزرقي أن اللات كان رجلا من ثقيف »(الساسي 2014).

- **سواع:**

حيث « تذهب بعض الروايات منها رواية الواقدي أنه كان على صورة امرأة ، أو هو اسم لرجل صالح من قوم نوح على رأي ابن الكلبي، وقد يكون ذلك من تجليات التخليد، فخلعت عليه بعد ذلك صفة القداسة » (الساسي 2014)

- **أساف ونائلة:**

حيث « ..ي ذهب ابن الكلبي أنهما من جرهم، أساف بن يعلي، ونائلة بنت زيد، وقد ذكر الأزرقي نسبا مختلفا لهما يغاير النسب الذي ذكره ابن الكلبي، أساف بن بغا ونائلة بنت ذئب وفي رواية ثانية أساف بن سهيل ونائلة بنت عمرو بن ذيب ويرجح الأزرقي التسمية الأخيرة (...) تعشقها في الكعبة فغدا ذلك فجورًا، فمسخا أصناما وكأن الخطيئة تم التكفير عنها بالمسخ في صورة لهذين الصنمين ... » (الساسي 2014) وآلهة العرب وديانتهم لا يمكن فصلها عند ديانات المشرق القديم .

2/3 السومرية :

السومريون أنشأوا عالما لنشوء الكون يليق بها، لقد استنتجوا أنه قد وجد في البداية " بحر أول الزمان" والدلائل هي أنهم كانوا ينظرون إلى أن البحر كنوع من العلة الأولى والمحرك الأول (...) وفي بحر أول الزمان هذا تم بطريقة ما إحداث الكون (أي السماء – الارض)، الذي يتألف من السماء ذات القبة التي تعلو الأرض المنبسطة وتتحدد معها ،ولكن كان يأتي بينهما "الجو" المتحرك والمتمدد الذي يفصل السماء عن الأرض، ومن هذا الجو سوَّيت الأجسام المضيئة، وهي القمر والشمس والكواكب والنجوم ،وبعد انفصال السماء عن الأرض وخلق الأجسام النجمية مانحة الضياء ،ظهرت الحياة النباتية والحيوانية والبشرية إلى الوجود" (السواح 2017).

نستخلص سر تسمية (البحور الشعرية) ب(البحر) ،وكذا تقسيم البيت الشعري إلى ثنائية (صدر وعجز) أي (الأرض والسماء) والفراغ بينهما (الجو المتحرك)، وهذه استعارة معرفية شكل كتاب (الاستعارات التي نحيا بها Metaphore we live by) ثورة في المفاهيم المرتبطة بالاستعارة، ودورها في حياة الإنسان، فهي ليست مجرد زخرف للكلام، وليست حكرا على الأدب، بل هي أداة أساسية لفهم العالم والتفكير فيه والتحدث عنه، فالعقل الإنساني يتشكل بدرجة أساسية عبر الاستعارة "إن جزءا هاما من تجاربنا و سلوكاتنا وانفعالاتنا استعاري من حيث طبيعته، وإذا كان الأمر كذلك، فإن نسقنا التصوري يكون مبنيا جزئيا بواسطة الاستعارة، وبهذا لن تكون الاستعارات تعابير مشتقة من "حقائق" أصلية، بل تكون هي نفسها عبارة عن "حقائق" بصدد الفكر البشري والنسق التصوري البشري" (جونسون 2009)فمصطلحات علم العروض استعارات معرفية من الفلسفات الشرقية القديمة.

3/3 المصرية :

حيث « في البداية عاش الإله لوحده ولا يغار إلا من سلطته الخاصة، وبما أن المصري لم يكن يتصور الحياة من دون آلهة، فقد باشر بتزويج آلهته وإلاهاته وإعطائهم ولدا يشكل مع كل زوجين ثالوثا مقدسا (....) فقد عبد

المصريون آلهة الطبيعة الكبرى، على الرغم من أنهم لم يقيموا لها المعابد ولم يؤدوا الطقوس، وذلك مثل السماء والأرض والشمس والقمر والنيل العظيم الذي ينقل هيرودوتس عن المصريين قولهم بأنه خالق مصر،" إن كلمة "السماء" في اللغة المصرية هي مؤنث ولذا فإنهم جعلوا من السماء المرئية إلهة هي "نوت" وهي "هاتور" أيضا، اللتان صورتا على هيئة امرأة يشكل جسدها المنحني فوق الأرض ويلامسها بأطراف أصابع القدمين والكفين قبة السماء، وبطنها المرصع بالنجوم سماء الليل المتألقة بكواكبها(...) وعلى عكس السماء فإن كلمة الأرض في اللغة المصرية هي مذكر...." (جونسون 2009) وهنا نجد ثنائية (ذكر/أنثى) وكذا (النيل) أصل الجود.

4/3 ديانات سورية قديمة:

تشهد التماثيل الصغيرة في أوغاريت، أيضا، على شيوع نوعين متميزين من الأزواج الإلهية التي تمثلها هذه التماثيل، فلدينا شكل ملك وملكة ، هما إيل وأثيرات، وإله يتسم بالقوة والبطش وإلهة شهوانية، هما بعل وعناة، وهذه الأخيرة تصور أحيانا كإلهة محاربة (جونسون 2009)، يلاحظ حضور نفس الثنائية، لهذا نجد المقدمات الغزلية في الشعر العربي قبل الإسلام، حيث يبدأ الشاعر قصيدته بها، قد تكون المرأة المذكورة حقيقية وقد تكون من صنع خيال الشاعر(استعارة).

5/3 ديانة بابل وآشور:

تذكر "ملحمة الخلق" البابلية « بصيغتها التي وصلت إلينا أن نسب الإلهة **آنو** يرجع إلى أبسوabsu ،أوقيانوس أو محيط العالم الأسفل، وإلى تياماتtiamat العماء البدئي، وكان مقامه السماء الثالثة، ولقباه الأب وملكة الآلهة،(....) في القرون الأولى كان **لآنو** زوجة اسمها **أنتو**antu ،وهي كائن لا لون له ولا أهمية، لافي العبادة ولا في الميثولوجيا. لكن في الحقبة التاريخية حلت محلها إينانا أو عشتار، الإلهة العظمى التي عبدت تحت مختلف الأسماء والأشكال في جميع أنحاء الشرق الأدنى القديم. فقد كان الاعتقاد أنه من زواج آنووآنتو، ومعنى اسمها في السومرية الأرض، كانت ولادة آلهة العالم الأسفل...» (جونسون 2009)نلاحظ وجود: (المحيط)، (السماء)، (الأرض)، و(الذكر/ الأنثى).

ما يلاحظ أيضا إيراد (الفراغ) ويقصد به (أنتو)، فالقصيدة الجاهلية التي وضع لها الخليل بن أحمد الفراهيدي قواعدها، هذه المصطلحات مصطلحات معرفية لها خلفية فلسفية ضمن الحضارات والفلسفات السابقة (المصرية ،السومرية ،البابلية) سننتقل إلى فلسفة بيئية شرقية وهي (التاو).

6/3 التاوية:

تقول الحكم إن "المبدأ الأول لا يلفظ بأسمه في العالم، ذلك أن كل ما نستطيع أن نسميه بلغتنا ليس هذا المبدأ الأول. وهو يشبه بالأم البدئية (الأولى) التي منها يتولد كل شيء، إننا نرى حاشية ثوبها فقط لكننا لا نعرف جوهرها، ومن هذه الأم البدئية تولدت القوى التي تشكل الحياة، وبالتحديد قوة الظلام (yin) وقوة النور(yang)، وكلتاهما تؤثران ببعضهما البعض وتكملان بعضهما البعض، ولا تقاتل الواحدة منهما الأخرى أبدا " (هايدر 2010)

يعرف لا وتسي الطاو بقوله: "الطاو (الطريق) أوجد الوحدة، الوحدة أوجدت الثنائية، الثنائية أوجدت التثليث، التثليث أوجدت الكائنات العشرة آلاف تحمل ين المعتم على ظهرها، ويانج المضيء، بين ذراعيها » (هايدر 2010) ويشرح أنطوان غرابنرهايدر ذلك بقوله:« ...إننا أمام صورة رمزية فالواحد هو رمز الطاو، وعنه جاء الاثنان وهي تعبير عن مبدأين أحدهما مظلم بارد أنثوي (الين) والآخر مضيء دافئ رجولي (اليانج) أو لعلهما رمز للعدم ثم الوجود، أما الثلاثة فلعلهما رمز للماء والأرض وللإنسان...» (هايدر 2010) وإذا تساءلنا عن مكانة الإنسان عند لاوتسي نجده يقول :«إن الطاو عظيم وعظيمة هي السماء، وعظيمة هي الأرض، وعظيم هو الملك، أولئك هم الأربعة الكبار في الكون والإنسان أحدهم الإنسان يتخذ الأرض قانونا له، والأرض تتخذ السماء قانونا لها والسماء تتخذ الطاو قانونا لها، والطاو يتخذ قانونه من نفسه » (هايدر 2010) ما يلاحظ البحث هنا وجود: السماء، الأرض، التأنيث، والعدد،(الذكر ، الأنثى) وهي ثنائيات سبق وأن وجدناها في الفلسفات السابقة، هكذا تتوسع الدائرة المعرفية لمقاربة الشعر الجاهلي، وكلمة (الجاهلي) تشويه له؛ فهذا الخطاب الشعري كان نصا معرفيا دينيا فلسفيا للعرب جمع من مختلف الفلسفات الشرقية لهذا جاء النص القرآني متحديا له، وليس لغيره.

4 حركة الصورة الشعرية:

لما كان الشعر لغة تعبيرية تأثيرية، في آن، ونتاج وعي أكثر شمولية من المقصدية، فإن اقتصاده يتميز بدقة أكثر ترتيبا ما يريد التعبير به/عنه. بمعنى أن بنية الشكل الكلية تتحدد انبثاقا من البنى الجزئية الصغيرة فيه ذات الوجود المقصود والفاعل في تأدية الغرض العام للشكل« فالنظم بمعنى أوسع؛ أي إقامة علاقات واضحة محددة (منتظمة) بين البنى الجزئية (الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية) بما هي جزيئات من بنية كلية هي الشكل الشعري إن الشاعر– حتى لو كان قديما– ينتقي من المعجم اللغوي (الذي يمثل اللغة–بماهي وعي– في حالة السكون) مفردات (إشارات) وينظمها في سياقات محددة ويقيم بينها علاقات تنظيمية، مستغلا إبداعية اللغة، وتحويلتها، ليسبغ على العالم إدراكا جديدا، هو إدراكه بالذات، أي أن النظم هو فاعلية للوعي الشعري » (الجهاد 2001) فلمقاربة القصيدة الشعرية قبل الإسلام علينا مقاربتها كنص فلسفي ديني، قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان أتت حجج بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان (القيس بلا تاريخ)

(قفا: وجود الثنائية)، (عرفان← معرفة)، (آياته ← جانب ديني)، (حجج ←دين)،

(رهبان دين)فهذا النص فلسفي معرفي ديني، فالطلل (حياة/ موت)، (حركة /سكون)،

(جسد/ روح)، وهو نظرة ووعي بالوجود (وجود/ عدم).

يقول عدي بن زيد:

هـل ترى من ظعن باكـرة يتطلعن من النجد أســتر

كخلاف البحر تعلو غمرة إذ سجا التيار منه واستبكر (القيس بلا تاريخ)

هذه معلقة امرئ القيس تجسيد عميق للفكر البيئي:

قِفَانَبْكِمِنْذِكْرَىحَبِيبٍومَنْزِلِ ... بِسِقْطِاللِّوَبَيْنَالدَّخُولِفَحَوْمَلِ

فَتُوْضِحَفَالمِقْراةِلَمْيَعْفُرَسْمُها ... لِمَانَسَجَتْهَامِنْجَنُوبٍوشَمْأَلِ

تَرَبَّعَرَالأَرْآمِفِيعَرَصَاتِهَا ... وَقِيْعَانِهَاكَأَنَّهُحَبُّفُلْفُلِ

كَأَنِّيغَدَاةَالبَيْنِيَوْمَتَحَمَّلُوا ... لَدَىسَمُرَاتِالحَيِّنَاقِفُحَنْظَلِ

وُقُوْفًابِهَاصَحْبِيعَلَيَّمَطِيَّهُمُ ... يَقُوْلُوْنَ: لاتَهْلِكْأَسًىوَتَجَمَّلِ

وإِنَّشِفائِيعَبْرَةٌمُهْرَاقَةٌ ... فَهَلْعِنْدَرَسْمِدَارِسٍمِنْمُعَوَّلِ؟

كَدَأْبِكَمِنْأُمِّالحُوَيْرِثِقَبْلَهَا ... وَجَارَتِهَاأُمِّالرَّبَابِبِمَأْسَلِ

إِذَاقَامَتَاتَضَوَّعَالمِسْكُمِنْهُمَا ... نَسِيْمَالصَّبَاجَاءَتْبِرَيَّاالقَرَنْفُلِ

فَفَاضَتْدُمُوْعُالعَيْنِمِنِّيصَبَابَةً ... عَلَىالنَّحْرِحَتَّىبَلَّدَمْعِيَمِحْمَلِي

ألاَرُبَّيَوْمٍلَكَمِنْهُنَّصَالِحٍ ... وَلاَسِيَّمَايَوْمٌبِدَارَةِجُلْجُلِ

ويَوْمَعَقَرْتُلِلْعَذَارَىمَطِيَّتِي ... فَيَاعَجَبًامِنْكورهاالمُتَحَمَّلِ

فَظَلَّالعَذَارَىيَرْتَمِيْنَبِلَحْمِهَا ... وشَحْمٍكَهُدَّابِالدِّمَقْسِالمُفَتَّلِ

ويَوْمَدَخَلْتُالخِدْرَخِدْرَعُنَيْزَةٍ ... فَقَالَتْ:لَكَالوَيْلاَتُ!،إِنَّكَمُرْجِلِي

تَقُوْلُوقَدْمَالَالغَبِيْطُبِنَامَعًا: ... عَقَرْتَبَعِيْرِيَيَاامْرأَالقَيْسِفَانْزِلِ

فَقُلْتُلَهَا:سِيْرِيوأَرْخِيزِمَامَه ... ولاَتُبْعِدِيْنِيمِنْجَنَاكِالمُعَلَّلِ

فَمِثْلِكِحُبْلَىقَدْطَرَقْتُومُرْضِعٍ ... فَأَلْهَيْتُهَاعَنْذِيتَمَائِمَمُحْوِلِ

إِذَامَابَكَىمِنْخَلْفِهَاانْصَرَفْتُلَهُ ... بِشَقٍّ،وتَحْتِيشِقُّهَالَمْيُحَوَّلِ

ويَوْمًاعَلَىظَهْرِالكَثِيْبِتَعَذَّرَتْ ... عَلَيَّ،وَآلَتْحَلْفَةًلَمْتَحَلَّلِ

أفاطِمَمَهْلاًبَعْضَهَذَاالتَّدَلُّلِ ... وإِنْكُنْتِقَدْأَزْمَعْتِصَرْمِيفَأَجْمِلِي

وَإِنْتَكُقَدساءتكِمنيخَليقَةٌ ... فسُلّيثيابيمنثيابِكِتَنْسُلِ

أَغَرَّكِمِنِّيأَنَّحُبَّكِقَاتِلِي ... وأَنَّكِمَهْمَاتَأْمُرِيالقَلْبَيَفْعَلِ؟

وَمَاذَرَفَتْعَيْنَاكَإِلاَّلِتَضْرِبِي ... بِسَهْمَيْكِفِيأَعْشَارِقَلْبِمُقَتَّلِ

وبَيْضَةِخِدْرٍلاَيُرَامُخَبَاؤُهَا ... تَمَتَّعْتُمِنْلَهْوٍبِهَاغَيْرَمُعْجَلِ

تَجَاوَزْتُأَحْرَاسًاإِلَيْهَاوَمَعْشَرًا ... عَلَّيحِرَاصًالَوْيُسِرُّونَمَقْتَلِي

إِذَامَاالثُّرَيَّافِيالسَّمَاءِتَعَرَّضَتْ ... تَعَرُّضَأَثْنَاءَالوِشَاحِالمُفَصَّلِ

فَجِئْتُوَقَدْنَضَّتْلِنَوْمِثِيَابَهَا ... لَدَىالسِّتْرِإِلاَّلِبْسَةَالمُتَفَضِّلِ

فَقَالتْ:يَمِيْنَاللهِ،مَالَكَحِيْلَةٌ، ... وَمَاإِنْأَرَىعَنْكَالغَوَايَةَتَنْجَلِي

خَرَجْتُبِهَاتَمْشِيتَجُرُّوَرَاءَنَا ... عَلَىأَثَرَيْنَاذَيلِمِرْطٍمُرَحَّلِ

فَلَمَّاأَجَزْنَاسَاحَةَالحَيِّوانْتَحَى ... بِنَابَطْنُخَبْتٍذِيحِقَافٍعَقَنْقَلِ

هَصَرْتُبِفَوْدَيْرَأْسِهَافَتَمَايَلَتْ ... عَلَيَّهَضِيْمَالكَشْحِرَيَّاالمِخَلْخَلِ

إذاالتفتتنحويتضوّعريحُها ... نسيمَالصَّباجاءتبريّاالقرنفُلِ

مُهَفْهَفَةٌبَيْضَاءُغَيْرُمُفَاضَةٍ ... تَرَائِبُهَامَصْقُولَةٌكَالسَّجَنْجَلِ

كَبِكْرِالمُقَانَاةِالبَيَاضَبِصُفْرَةٍ ... غَذَاهَانَمِيْرُالمَاءِغَيْرُمُحَلَّلِ

تَصُدُّوتُبْدِيعَنْأَسِيْلِوَتَتَّقِي ... بِنَاظِرَةٍمِنْوَحْشِوَجْرَةَمُطْفِلِ

وجِيْدٍكَجِيْدِالرِّيمِلَيْسَبِفَاحِشٍ ... إِذَاهِيَنَصَّتْهُوَلاَبِمُعَطَّلِ

وفَرْعٍيَزِيْنُالمَتْنَأَسْوَدَفَاحِمٍ ... أَثِيْثٍكَقِنْوِالنَّخْلَةِالمُتَعَثْكِلِ

غَدَائِرُهُمُسْتَشْزِرَاتٌإِلَىالعُلا ... تَضِلُّالعِقَاصُفِيمُثَنَّىَومُرْسَلِ

وكَشْحٍلَطِيفٍكَالجَدِيْلِمُخَصَّرٍ ... وسَاقٍكَأُنْبُوبِالسَّقِيِّالمُذَلَّلِ

وتَعْطُوبِرَخْصٍغَيْرَشَثْنٍكَأَنَّهُ ... أَسَارِيْعُظْبْيٍأَوْمَسَاوِيْكُإِسْحِلِ

تُضِيءُالظَّلاَمَبِالعِشَاءِكَأَنَّهَا ... مَنَارَةُمُمْسَرَاهِبٍمُتَبَتِّلِ

وَتُضْحِيفَتِيْتُالمِسْكِفَوْقَفِرَاشِهَا ... نَؤُومُالضَّحَىلَمْتَنْتَطِقْعَنْتَفَضُّلِ

إِلَىمِثْلِهَايَرْنُوالحَلِيْمُصَبَابَةً ... إِذَامَااسْبَكَرَّتْبَيْنَدِرْعٍوِمِجْوَلِ

تَسَلَّتْعَمَايَاتُالرِّجَالِعَنْالصِّبَا ... ولَيْسَفُؤَادِيعَنْهَوَاكِبِمُنْسَلِ

ألاَرُبَّخَصْمٍفِيْكِأَلْوَىرَدَدْتُهُ نَصِيْحِعَلَىتَعْذَالِهِغَيْرِمُؤْتَلِ

ولَيْلٍكَمَوْجِالبَحْرِأَرْخَىسُدُوْلَهُ عَلَيَّبِأَنْوَاعِالهُمُوْمِلِيَبْتَلِي

فَقُلْتُلَهُلَمَّاتَمَطَّىبِصُلْبِهِ وأَرْدَفَأَعْجَازًاوَنَاءَبِكَلْكَلِ

ألاَأَيُّهَااللَّيْلُالطَّوِيْلُألاَانْجَلِي بِصُبْحٍ،وَمَاالإِصْبَاحُمِنكَبِأَمْثَلِ

فَيَالَكَمَنْلَيْلٍكَأَنَّنُجُومَهُ بكلمُغارالفتلشُدّتبيذبل

كَأَنَّالثُرَيّاعُلِّقَتفيمَصامِها بِأَمْرَاسِكَتَّانٍإِلَىصُمِّجَنْدَلٍ

وَقَدْأَغْتَدِيوالطَّيْرُفِيوُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍقَيْدِالأَوَابِدِهَيْكَلِ

مِكَرٍّمِفَرٍّمُقْبِلٍمُدْبِرٍمَعًا كَجُلْمُوْدِصَخْرٍحَطَّهُالسَّيْلُمِنْعَلِ

كَمَيْتِيَزِلُّاللَّبْدُعَنْحَالِمَتْنِهِ كَمَازَلَّتِالصَّفْوَاءُبِالمُتَنَزَّلِ

مِسِحٍّإِذَامَاالسَّابِحَاتُعَلَىالوَنى أَثَرْنَالغُبَارَبِالكَدِيْدِالمُرَكَّلِ

عَلَىالذبلجَيَّاشٍكَأَنَّاهْتِزَامَهُ إِذَاجَاشَفِيْهِحَمْيُهُغَلْيُمِرْجَلِ

يزلالغُلاَمُالخِفُّعَنْصَهَوَاتِهِ وَيُلْوِيبِأَثْوَابِالعَنِيْفِالمُثَقَّلِ

دَرِيْرٍكَخُذْرُوفِالوَلِيْدِأَمَرَّهُ تقلبكَفَّيْهِبِخَيْطٍمُوَصَّلِ

لَهُأَيْطَلاظَبْيٍ،وَسَاقَانَعَامَةٍ وإِرْخَاءُسَرْحَانٍ،وَتَقْرِيْبُتَتْفُلِ

كَأَنَّعَلَىالكتفينمِنْهُإِذَاانْتَحَى مَدَاكُعَرُوسٍأَوْصَلايَةَحَنْظَلِ

وبَاتَعَلَيْهِسَرْجُهُولِجَامُهُ وَبَاتَبِعَيْنِيقَائِمًاغَيْرَمُرْسَلِ

فَعَنَّلَنَاسِرْبٌكَأَنَّنِعَاجَهُ عَذَارَىدَوَارٍفِيمُلاءٍمُذيَل

فَأَدْبَرْنَكَالجِزْعِالمُفَصَّلِبَيْنَهُ بِجِيْدٍمُعَمٍّفِيالعَشِيْرَةِمُخْوِلِ

فَأَلْحَقَنَابِالهَادِيَاتِودُوْنَهُ جَوَاحِرُهَافِيصَرَّةٍلَمْتُزَيَّلِ

فَعَادَبِعِدَاءً بَيْنَثَوْرٍونَعْجَةٍ دِرَاكًا،وَلَمْيَنْضَحْبِمَاءٍفَيُغْسَلِ

وَظَلَّطُهَاةُاللَّحْمِمِنبَيْنِمُنْضِجٍ صَفِيفَشِوَاءٍأَوْقَدِيْرٍمُعَجَّلِ

ورُحْنَاوَرَاحَالطَّرْفُينفضرأسه مَتَسماتَرَقَّالعَيْنُفِيْهِتَسَفَّلِ

كَأَنَّدِمَاءَالهَادِيَاتِبِنَحْرِهِ عُصَارَةُحِنَّاءٍبِشَيْبٍمُرَجَّلِ

وأنتإِذَااسْتَدْبَرْتَهُسَدَّفَرْجَهُ بِضَافِفُوَيْقَالأَرْضِلَيْسبِأَعْزَلِ

أحارِتَرَبَرْقًاأُرِيْكَوَمِيْضَهُ كَلَمْعِاليَدَيْنِفِيحَبِيٍّمُكَلَّلِ

يُضِيءُسَنَاهُأَوْمَصَابِيْحُرَاهِبٍ أَمانالسَّلِيْطَبالذُّبَالِالمُفَتَّلِ

قَعَدْتُلَهُوصُحْبَتِيبَيْنَحامر وبَيْنَإِكام،بُعْدَمَامُتَأَمَّلِي

فأَضْحَيَسُحُّالمَاءَعنكلفيقةٍ يَكُبُّعَلَىالأَذْقَانِدَوْحَالكَنَهْبَلِ

وتَيْمَاءَلَمْيَتْرُكْبِهَاجِذْعَنَخْلَةٍ وَلاَأُطُمًاإِلاَّمَشِيدًابِجَنْدَلِ

كَأَنَّذُرَىرَأْسِالمِجَيْمِرِغُدْوَةً مِنَالسَّيْلِوَالغُثَّاءِفَلْكَةُمِغْزَلِ

كَأَنَّابانًافِيأفانينودقه كَبِيْرُأُنَاسٍفِيبِجَادٍمُزَمَّلِ

وأَلْقَىبِصَحْرَاءِالغَبِيْطِبَعَاعَهُ نُزُوْلَاليَمَانِيذِيالعِيَابِالمحملِ

كَأَنَّسباعًافِيْهِغَرْقَىغُدِيّة بِأَرْجَائِهِالقُصْوَىأَنَابِيْشُعَنْصُلِ

عَلَىقَطَنٍ،بِالشَّيْمِ،أَيْمَنُصَوْبِهِ وَأَيْسَرُهُعَلَىالسِّتَارِفَيَذْبُلِ

وَأَلْقَىبِبَيسانَمَعَاللِيلِبَرْكَهُ فَأَنْزَلَمِنْهُالعُصْمَمِنْكُلِّمَنْزِلِ

نجد المعجم الشعري غني ب (الماء، البحر...)، (البقر)، (الثور)، (الأنثى) " بالنسبة للعمليات الذهنية المعقدة، فإن اللغة تكون سابقة على الفكر، لأن الكائن المالك للغة هو الوحيد القادر على أن يكون أفكارا و تصورات ذهنية" (بغوره 2005) فالشاعر العربي لم يكن جاهلا بل كان عارفا.

5 فلسفات ما قبل سقراط:

5/1 طاليس: (الطيب 2013)

معظم من درجوا على مقاعد الدراسة يعتبرون طاليس عالم رياضيات؛ لأنه ارتبط في أذهانهم بالهندسة الإقليدية وخاصيات المثلثات، ولكن عموم المؤرخين والفلاسفة ينصبون طاليس كأول فيلسوف من خلال المعلومات المتوافرة لديهم، إلى جانب أنه كان عالم فلك ومهتما بالسياسة. ولد هذا العالم الموسوعي في مدينة مليتوس بتركيا حالياعام 635 قبل الميلاد ويرجح البعض أنه من أصل فينيقي.

صنف في الكتب اليونانية على أنه على رأس الحكماء السبعة، كما أنه عاش محبا للعزلة حتى أنه لم يتزوج .يمكن أن نقول أن الفلسفة الغربية بدأت في يوم 28 مايو 585 قبل الميلاد ،وإعطاء هذا التاريخ ليس عشوائيا لأنه في

هذا التاريخ بالذات من العصر القديم حدث كسوف للشمس ،والأمر الاستثنائي الذي ميز هذا الكسوف عن غيره ،هو أنه كان قد تم التنبؤ به مسبقا ،من قبل الحكيم طاليس هنا بدأ التنبه لقيمة الفلسفة كعلم يهتم بجميع الظواهر الطبيعية والإنسانية وأصل الأشياء والغرض منها . وصنف طاليس ضمن مجموعة من الفلاسفة يدعون ب"فلاسفة ما قبل سقراط " فالفلسفة لم تبدأ مع سقراط ،لكنها بدأت بطاليس .ويمكن تلخيص فلسفته في ثلاث أفكار أساسية:

- معضلة الوحدة والتنوع:

ما حاول طاليس حله من خلال فلسفته هي على الأرجح أقدم مسألة على الإطلاق يمكن أن نختصر هذه المسألة بمشكلة "الواحد والكثير" وهي تقتضي الحديث عن العلاقة التي تربط الوحدة والتنوع ،فالإنسان البسيط يعتبرها مسألة بديهية ولا تحتاج إلى تفكير، ولكن شخصا كفيلسوفنا نظر إليها بطريقة مختلفة تماما . هذا الكون الذي نعيش فيه يقضي بوجود نظام محكم يحفظ توازنه ،فهذا الكون يتضمن شتى أنواع الأمور المختلفة ،ففي حياتنا اليومية نحن نعاين عددا لا يحصى من الأشياء والمخلوقات الحية ،الجبال الصخور الغازات الطيور الكواكب النجوم ... وكل هذه الأشياء الخاصة المحددة تختلف عن بعضها البعض تماما .جعلت طاليس يفكر ويتساءل كيف يمكن لجميع أجزاء الواقع التي نصادفها يوميا أن تتلاحم فيما بينها لتكون وحدة ما هو الشيء الذي يربط بينها؟ وهل يشكل كل هذا تناغما أم تنافرا في آخر المطاف ؟ هل العالم الذي نعيش فيه منظم أن فوضوي ؟

- ظهور علم الميتافيزيقا:

توصل طاليس إلى أن العالم الفيزيائي المحسوس الذي نعاينه بحواسنا الخمس أو بعبارة أخرى عالم المادة لا بد أن يكون محكوما بعالم فوق مادي تنبثق عنه كل الأشياء وبه تكتسب كل الأشياء وحدتها وتناغمها .ولكن كيف خرجت إلى حيز الوجود؟ ولماذا وما هو الغرض من ذلك؟ ما هو الهدف من وجود الطيور والرياح ،وما الغرض من وجود الإنسان نفسه ؟ وهذا السؤال عن الغائية قد أجابت عليه الأديان السماوية { و ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونِ} الذاريات 56.

- ما هو الجوهر؟

المقصود هنا هو منشأ الأشياء أو العنصر الأساسي الذي انبثقت منه المادة أو الحياة نفسها ؟ علماء الكونيات في العصر الحديث يخبروننا عن الانفجار العظيم ويقولون أن المادة والطاقة و الزمان والمكان كانت مكدسة في نقطة متفردة متناهية في الكثافة ومتناهية في الصغر منظمة وثابتة، بدأ منها كل شيء السؤال المطروح ما هي القوى الخارجية التي جعلتها تفقد تباثها ونظامها وتنفجر حسب مبدأ القصور الذاتي .على أي يبدو هذا التفسير منطقيا ومدعما .لكن عندما نسمع طاليس يقول أن منشأ وجوهر جميع الأشياء هو الماء فقد يبدو ذلك ساذجا ،لكن إذا فكرت في ذلك قليلا ستجده منطقيا .فكل الأمور التي كان يختبرها بحواسه لابد أن تمر بثلاث حالات مادية : الصلبة ،السائلة والغازية .و الماء هو العنصر الوحيد الذي يتحول إلى جميع هذه الحالات بكل سهولة عكس المواد الأخرى .بالإضافة إلى توقف حياة الكائنات الحية على وجود الماء .لذا اعتبر طاليس الماء مادة خارقة للطبيعة يمكنه أن يكون

منبعا للمادة والحياة حتى أنه اعتقد أن الأرض مستوية وتطفو على الماء. و يستثمر المقال هذه النظرة لطاليس وربطها بعلم العروض العربي الذي يدرس البحور الشعرية، فالشعر مرتبط في كينونته بالماء.

2/5 هيراقليطس (طاليس 2007):

في مدينة «أفسوس» في آسيا الصغرى ولد الفيلسوف اليوناني هيراقليطس عام 540 قبل الميلاد لأسرة مالكة، وكان مفعما بالسؤال والتفكير، وحاملا لمشعل النار على النهر، باحثا عن نهايات العالم وبداياته. وحين رفض تعيينه بمنصب «كبير الكهنة» جعل من رفضه هذا عنوانا لفلسفته المؤثرة التي لا تزال مفاهيمها تشتغل حتى اليوم. قال سقراط إن ما فهمه من كتابات هيراقليطس شيء عظيم، وإن ما لم يفهمه عظيم أيضا. لقي هذا الفيلسوف اهتماما في العصر اليوناني غير أنه كان معزولا، لأنه متهم بغموض الأسلوب وبالنواح والبكاء. ولم يمت في سنة 475 قبل الميلاد إلا وقد شقت فلسفته الصخر، معلنة عن وضع نحت خاص استثنائي في تاريخ الفلسفة كلها على مر العصور، لتتناوب الأجيال على دراسته طوال تلك القرون، ومن ثم لتسهم رؤيته في شحذ الحداثة، ولتكون آراؤه في «العود» و«التكرار» و«الصيرورة» موضع نقاش طويل لدى نيتشه في كتابه: «الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي»، ولتهتم بها نصوص كل من ميشيل فوكو وجيل دلوز، وليؤثر على الشعراء الأوروبيين على مر الأزمان وأخص بالذكر مثل شيللر ومالارميه وسواهم.

دراسة نيتشه عنه أعادته فعليا ليكون عنوانا أساسيا في المجال الفلسفي الحديث، وفي كتابه اشتكى من تهميش سيء النية لفلسفة هيراقليطس، الذي لم يكن له جمهور أو معجبون كما لدى أفلاطون وأرسطو، معيدا هامش الفلسفة اليونانية ليكون متنا: «إنه مصير سيء النية على أي حال إذا كان يحرمنا من هيراقليطس، من شعر أنبادوقليس البديع، ومن كتابات ديمقريطس التي كان القدماء يعتبرونها تضاهي أفلاطون وتتفوق عليه إبداعيا»، هذا ما يأسف عليه نيتشه. لقد وجد في فلسفته مفاهيم تحمل طاقة هائلة لا تزال قادرة على العمل والإنتاج. زمن الفيلسوف ليس مهما ولا يجعل منه قديما في حال كانت فلسفته لديها من المفاهيم ما لا يزال مضيئا ومنتجا ومشعا.

يتحدث جيل دلوز عن أن: « هيراقليطس هو المفكر المأساوي، ومشكلة العدالة تطرح على امتداد مؤلفاته، هو ذلك الذي يرى الحياة بريئة وعادلة بصورة جذرية، إنه يفهم الوجود انطلاقا من غريزة لعب، ويجعل من الوجود ظاهرة جمالية لا ظاهرة أخلاقية أو دينية، لقد نفى ثنائية العوالم، ونفى الوجود بحد ذاته، ليس هناك غير الصيرورة، ولدى هيراقليطس فكرتان: ليس هناك وجود وإنما صيرورة، والثانية: أن الوجود هو وجود الصيرورة بما هي كذلك. فكرة عامة تثبت الصيرورة وفكرة تأملية تثبت وجود الصيرورة.

اعتبر هيراقليطس أن صراعات الكائنات التي لا تحصى ليست سوى عدالة خالصة، ومن جهة أخرى إن الواحد هو المتعدد، وإن العلاقة المتبادلة بين المتعدد والواحد، وبين الصيرورة والوجود تشكل لعبة، بالنسبة له فإن إثبات وجود الصيرورة هما زمنا لعبة ما، يتألفان مع حد ثالث هو اللاعب أو الفنان أو الطفل، هذا شرح «نيتشوي» خالص لرؤية هيراقليطس عن الصيرورة وإثبات الوجود والواحد والمتعدد. فهو تخلى عن التمييز بين عالم فيزيائي، وعالم ميتافيزيقي، بين مجال للصفات المحددة ومجال للامحدد غير القابل للتحديد. لقد نفى الموجود بشكل عام. يكتب

هيراقليطس في شذراته: «إنني لا أرى شيئا سوى الصيرورة، لا تنخدعوا، إنه لتأثير نظركم القاصر، ولا علاقة لذلك بجوهر الأشياء، إذا كان يتراءى لكم في مكان ما أنكم ترون أرضا صلبة على بحر الصيرورة والموجودات الزائلة، إنكم تستعملون أسماء أشياء كما لو كان لها زمن ثابت، ولكن حتى النهر الذي تنزلون فيه للمرة الثانية، ليس هو نفسه كما كان لأول مرة في كتابه «العالم إرادة وتمثلا» يشرح شبنهاور الصراع المتعلق بالصيرورة.

حين يكتب: «إن على المادة في ديمومتها، أن تغير شكلها باستمرار، بانتظار الظواهر الآلية الطبيعية، الكيميائية والعضوية المتعلقة بخيط الضرورة الموصل، والمتلهفة للظهور، لكي تنازع بضراوة على هذه المادة وتبرز كل ظاهرة فكرتها. بإمكاننا ملاحقة هذا الصراع من خلال مجمل الطبيعة، بل إن الطبيعة لا توجد إلا عبر هذا الصراع». من هنا يكون لمفهوم «الصيرورة» قوته ذلك أنه: «فجر معركة» كما يعلق نيتشه في دراسته، ولولا أن هيراقليطس كان منعزلا وضاع كتابه: «في الطبيعة» ونسب إليه ما لم يقله، غير أن الدراسات المتقنة التي وضعها فلاسفة كبار حصرت الشذرات التي كتبها ودرسوها ضمن منظومته الفلسفية، فلا يمكن أن تنسب إليه بعض الشذرات التي تعارض عصب نظرياته.

احتوت الفلسفات الحديثة نتاجه، من خلال تشريح مفاهيمه، ولهذا كان قريبا ومألوفا، شذراته حين تقرأ بعضها كأنها كتبت راهنة، ذلك أن الرؤية التي ينطلق منها ليست محدودة، بل تمثل حدسه أحيانا في رأيه. فيلسوف الأضداد والنار والحركة والجريان والصيرورة بلغ شأوا هائلا في تكسير ما هو سائد، وهو تكسير ليس مؤقتا ضمن عصر غابر منقرض، بل ضمن تاريخ البشرية الممتد. لم يكن «الغموض» الذي اتهم به إلا جزءا من الإعتام الذي يولد منه التفكير، وغموضه يجيء منسجما مع خارطة فلسفته التي تقول: «إن الطبيعة تحب أن تتخفى، والتناغم الخفي أقوى من التناغم المرئي. وهذا ما يجعل المقال يقيم علاقة بين الحركة(/) و السكون(0) في علم العروض و فلسفة هيراقليطس.

3/5 فيثاغورس (طاليس 2007):

العالم فيثاغورس هو فيلسوف وعالم رياضيات يوناني، ومُؤسّس الأخويّة الفيثاغوريّة التي صاغت مبادئ أثّرت في معتقدات كلٍّ من أفلاطون وأرسطو بالرغم من توجهاتها الدينية، كما كتب فيثاغورس مبادئ لتطوير علم الرياضيات (بالإنجليزيّة mathematics) :وعلم الفلسفة المنطقي الغربي (بالإنجليزيّة Western rational philosophy)، بالإضافة إلى ذلك فقد ساهم في تطوّر علم الرياضيات، لكن لا تتوافر حالياً كتب لفيثاغورس على عكس علماء الرياضيات اليونانيين ممّن جاؤوا بعده ودوّنوا اكتشافاتهم في كتب. يُعتبر فيثاغورس من الشخصيات الغامضة؛ لاستخدامه أسلوب التشفير للسرية في قيادة الأخويّة التي نظّمها والتي اتبعت أسلوباً نمطيّاً بين الدين والعلم، ويُذكر أنّه ساهم في تطوير علم الفلك والموسيقا،كما نُسبت إليه تعريفات بعض المصطلحات؛ ككلمة الفلسفة التي شرحها بمعنى حب الحكمة، وكلمة الرياضيات التي عرّفها بأنّها الأنظمة التي يُمكن الاستفادة منها.

ولد فيثاغورس في جزيرة ساموس المقابلة لساحل آسيا الصغرى أو ما يُعرف حالياً بتركيا عام 569 قبل الميلاد، ومن الجدير بالذكر أنّ المعلومات الواردة عن حياته تُعدّ قليلةً نسبياً، ولكن تُشير الأدلة إلى أنّ فيثاغورس قد تلقّى تعليماً جيّداً، حيثُ تعلّم القراءة والعزف على القيثارة. كان منيسارخوس والد فيثاغورس تاجراً من مدينة صور، أمّا

أمّه فيثاي فكانت من جزيرة ساموس، وقد حصل والده على جنسية ساموس تقديراً له حينما جلب الذرة للجزيرة أثناء معاناتها من المجاعة، ومن الجدير بالذكر أنّ فيثاغورس أمضى طفولته في ساموس لكنّه رافق والده في أسفاره، حيثُ زار عدّة مدن وقيل أنّه زار إيطاليا، وذكرت بعض المصادر أنّه عاد إلى مدينة صور مع والده، وتلقّى العلم على يد الكلدانيين وبعض رجال سوريا المتثقّفين. أساتذة العالم فيثاغورس تعلّم فيثاغورس على يد عدد من الأساتذة والعلماء، وكان لثلاثة فلاسفة الفضل الأكبر والتأثير عليه؛ وهم فيريسيديس(Pherekydes) ، وطاليس(Thales) ، وتلميذه أناكسيمندر(Anaximander) ، حيثُ عاش الأخيران في ميليتوس، وقد زار فيثاغورس طاليس بين عمر الثامنة عشر والعشرين عاماً، وكان طاليس حينها كبيراً في السن، فقد أثّر في فيثاغورس إلّا أنّه لم يُعلّمه إلّا القليل، لكنّه ساهم في تقدّم فيثاغورس في علوم الرياضيات والفلك، ونصحه بالسفر إلى مصر، كما تتلمذ فيثاغورس على يد أناكسيماندر تلميذ طاليس الذي كان مهتماً بعلم الهندسة وعلم الكونيات (بالإنجليزية(Cosmology :، وقد ألقى أناكسيماندر الكثير من المحاضرات في ميليتوس التي حضرها فيثاغورس وأثّرت على معتقداته ومبادئه.

ولد فيثاغورس في جزيرة ساموس أثناء حكم بوليكراتس، إلّا أنّه كان معارضاً لهذه الحكومة فقرّر الرحيل إلى مدينة كروتون (Croton) جنوب إيطاليا، حيثُ إنّها تُشبه المدن اليونانية القديمة كمدينة إيونية(Ionia) ، وتشتهر بازدهار التجارة فيها فقد كانت تعتمد على استيراد السلع وتصديرها، كما شاع فيها بذلك الوقت المساواة بين الرجال والنساء، حيث كانت الممتلكات مشتركةً للجميع، الأمر الذي ساعد فيثاغورس على تطوير أهم نظرياته ومبادئه، ومن الجدير بالذكر أنّه أنشأ مجتمعاً من تلاميذه كان له أثراً بالغاً لفترة من الوقت. أخذ فيثاغورس بنصيحة معلّمه طاليس وانتقل إلى مصر عندما كان عمره نحو 22 عام، وعاش فيها ما يُقارب 22 عاماً، حيثُ أتقن في هذه الفترة المبادئ الرياضية وبعض المعتقدات الدينية، ولكن خلال فترة الغزو الفارسي لمصر أُخذ فيثاغورس سجيناً إلى بابل وعاش فيها ما يُقارب 12 عاماً، تعلّم خلالها الرياضيات والمعتقدات الدينية الشرقية، حتّى أُطلق سراحه بعمر 56 عاماً تقريباً، رجع بعدها إلى مدينة ساموس، حيثُ بدأ بتعليم الناس فلسفته الحياتية الخاصة، والرياضيات، والتصوّف الذي تعلّمه في مصر وبابل، ثمّ غادر بعد عامين إلى عدّة مدن منها مدينة كروتون، تاركاً خلفه الكثير من الكارهين والمستنكرين لأفكاره ومعتقداته، حيثُ وجد بيئةً تحتضن أفكاره في جنوب إيطاليا، وأسّس مجتمعه الخاص فيها.

أسّس فيثاغورس أخويّةً أُطلق على أتباعها لقب فيثاغوريين(Pythagoreans) ، وقد كان شعارها "الكل هو رقم" أيّ أنّ كلّ شيء في الكون يخضع لقوانين ومبادئ الأرقام الصحيحة الموجبة والسالبة، بالإضافة إلى نسب هذه الأرقام، فقد سعى فيثاغورس لتنظيم مواضيع العلوم، والدين، والفلسفة ضمن قواعد الأرقام، وقد ساهمت هذه الفكرة في تطوير وتمكين الرياضيات اليونانية، كما وضع ضوابط سلوك صارمةً لمنتسبي جماعته الأخوية. إنجازات العالم فيثاغورس الرياضيات يوجد الكثير من النظريات الرياضية التي نُسبت لفيثاغورس، وتُعدّ نظرية فيثاغورس (بالإنجليزية : The Pythagorean theorem)الأكثر شهرةً بينها، لكن بالرغم من شهرتها، إلّا أنّ فيثاغورس لم يكن أول من اكتشفها، إذ إنّ أقدم صيغة لهذه النظرية وضعها العالم الهندي بودهايانا (Baudhāyana) عام 800 قبل الميلاد، كما عرفها المصريون والبابليون القدماء، إلّا أنّ فيثاغورس أقدم على برهانها وإثبات صحتها، كما أنّه نشرها في اليونان، ودرس فيثاغورس الأرقام الزوجية والفردية، والمثلثات، والنسب المثلثية من أجل إثبات نظريته، وتجدر الإشارة إلى

أنّ نظرية فيثاغورس تُثبت أنّ مربع طول الضلع المقابل للزاوية القائمة المسمّى بالوتر يُساوي مجموع مربع أطوال الضلعيين الآخرين في المثلث قائم الزاوية، وقد شرح نظريته من خلال تسمية الوتر بـC ، وأطلق على الضلعين الآخرين A و B ، وصاغ النظرية كما يأتي:[$C^2=A^2+B^2$ ٣] [ساهمت جماعة فيثاغورس في تطوّر الرياضيات من خلال وضع قوانين مهمّة وواضحة، كما وضع فيثاغورس قوانين صارمةً لعلم الهندسة، وأثبتها، واعتبرها دلالات منطقية لعدد من المسلّمات (بالإنجليزية postulates) :والبديهيات (بالإنجليزية(axioms :، إذ تُعتبر مبرهنة الخط المستقيم واحدةً منها، حيثُ تُشير هذه المبرهنة إلى أنّ أقصر مسافة بين نقطتين هي الخط المستقيم الواصل بينهما، كما استنتج فيثاغورس عدداً من النظريات التي تتعلّق بالخطوط، والنقاط، والمنحنيات، والزوايا، والمستويات، بالإضافة إلى نظرية أخرى تنص على أنّ مجموع الزاويا الداخلية لأيّ مثلث يُساوي مجموع زاويتين قائمتين.

سعى فيثاغورس إلى تطوير علم الفلك، حيث أضاف أفكاراً مهمّةً على مبادئ القدماء العلمية، فقد كان أول من اعتقد أنّ شكل الأرض كرويّ، وأنّها تدور في الكون مع مجموعة من الكواكب بالإضافة إلى الشمس، كما رأى فيثاغورس أنّ الرقم عشرة هو رقم سحريّ، حيثُ ربطه بوجود عشرة كواكب، كما شرح تنسيق الكواكب ووصفها بأنّها مجال منسجم ومتناغم يتوافق مع الأجسام بشكلٍ متكاملٍ مبنٍ على قواعد رقمية ومنطقية، بالإضافة إلى استنباطه فكرة ميل مدار القمر باتجاه خط الاستواء لكوكب الأرض، كما يُعدّ فيثاغورس واحداً من أوائل العلماء الذين اعتبروا أنّ كوكب الزهرة هو نجم الصباح ونجم المساء، وكانت فكرة فيثاغورس لفهم طبيعة الكون ترتبط بالأرقام وتنسجم معها من خلال دراسة الرياضيات والعلوم. الموسيقا درس فيثاغورس مجال الموسيقا، حيثُ رأى أنّ الأنغام المتناسقة تأتي من اهتزاز الأوتار، حينما تكون نسب أطوال هذه الأوتار أعداداً صحيحة، فقد ورد في بعض المصادر أنّه لاحظ أصواتاً منبعثةً من سنادين حدادين مرّ بهم يوماً، حيثُ كان الصوت يصدر عن ضربهم للسندان فتصدر أنغام متناسقة وجميلة، ما جعله يفترض أنّ هناك قواعد علمية تسبّبت في هذا التناغم والانسجام، وبعد أن عاد فيثاغورس ليكتشف السر وراء هذا التناغم اكتشف أنّ للسنادين نسب طولية بسيطة، حيثُ كان لإحداها نصف حجم سندان آخر ولبعضها ثلثي حجم الأخرى، وتُعتبر هذه الفكرة المهمّة التي اكتشفها فيثاغورس الأولى من نوعها في إثبات نظريته بأنّ الكون يرتبط بالأعداد الصحيحة.

تتضارب الروايات حول تاريخ ولادة فيثاغورس وتاريخ وفاته، فقد ذكرت بعض المراجع أنّه عاش نحو 100 عام، أيّ حتّى عام 480 قبل الميلاد، كما قيل أنّه عاش في الفترة بين العامين 570 – 490 قبل الميلاد، وتجدر الإشارة إلى أنّ الأخوية التي أنشأها فيثاغورس في مدينة كورتون تعرّضت في سنواتها الأخيرة أيّ نحو عام 508 قبل الميلاد للاضطهاد، حتّى غادر فيثاغورس هارباً إلى مدينة ميتابونتوم(Metapontum) ، كما زعمت بعض المصادر أنّ فيثاغورس قد مات منتحراً، بينما ادّعت أخرى قصة عودته لمدينة كورتون بعد مدّة قصيرة، حيثُ لم يتمّ القضاء على جماعته بالكامل بل استمرّت لسنوات، ففلسفة فيثاغورس مستمدة من الشرق، وهذا يجعلنا نربط بين علم العروض والأعداد؛ فكل بحر من البحور الشعرية له عدد محدد من التفعيلات، فللشعر علاقة وثيقة بالعدد.

6 الخاتمة:

الشعر قبل الإسلام خطاب معرفي موسع (فهي فلسفة ورؤيا للذات والعالم)، وقد ساهم موقع شبه الجزيرة العربية الذي يتوسط مختلف الفلسفات الشرقية شمالا وجنوبا وشرقا وغربا إلى أن يكون العرب على إطلاع مهم بهذه الفلسفات، وقد ساهم الحج في تعميق هذه المعرفة، وكذا الرحلات التجارية. فكان الوعي الشعري وعيا عميقا، وهذا ما أدى إلى نزول الخطاب القرآني متحديا له، فنجد كلمات من مختلف الحضارات الشرقية، وكما هو معروف اللغة والفكر وجهان لعملة واحدة. فوصول هذه الكلمات إلى قاموس الشعر العربي تدل أن الشاعر يدركها جيدا فحسب إرنستكاسيرر" اللغة ليست أثرا ولكنها نشاط أو طاقة، و بالتالي فإن تحديدها لا يمكن أن يكون إلا تحديدا تكوينيا" (بغوره 2005)

ما يؤكد هذا هو معجم (علم العروض)، مثل : البحر، الصدر، العجز، القافية، القصيدة فيها سبعة أبيات المقدمة الغزلية–المقدمة الطللية، هذا البحث دعوة لإعادة النظر في النص الشعري قبل الإسلام نظرة معرفية موسعة ضمن فلسفات الشرق، لتكون لدينا رؤيا واضحة وأعمق حوله. كما تجدر الإشارة إلى الفلسفات ما قبل سقراط؛ ويقصد بها تحديدا فلسفة طاليس التي ترى أن الماء أصل الوجود، وفلسفة هيراقليطس التي ترى أن الحركة أصل الوجود، وفلسفة فيثاغورس التي ترى أن العدد أصل الوجود، وكل هؤلاء كانوا تلاميذ الفلسفة الشرقية.

المراجع

الملیطي طالیس. *تاريخ الفلاسفة*. ترجمة السيد عبد الله حسين. المجلد ط1. القاهرة: مكتبةالثقافةالدينية، 2007.

أنطوان غرابنر هايدر. *فلسفة حضارات العالم (نظريات الحقيقة وتأويلها)*. ترجمة ت:جورج كتورة. المجلد ط1. مؤسسة شرق غرب ديوان المسار للنشرمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، 2010.

بن محمد الضيفاوي الساسي. *ميثولوجيا آلهة العرب قبل الإسلام*. المجلد ط1. الدار البيضاء. بيروت. الرباط: المركز الثقافي العربي، مؤمنون بلا حدود، 2014.

بوعزة الطيب. *الفلسفة اليونانية ما قبل السقراطية*. المجلد ط1. بيروت. الرياض: مركز نماء للبحث والدراسات، 2013.

جلال الدين سعيد. *معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية*. تونس: دار الجنوب للنشر، بلا تاريخ.

جورج لايكوف ، مارك جونسون. *الاستعارات التي نحيا بها*. ترجمة ت: عبد المجيد جحفة. المجلد ط2. دار توبقال للنشر، 2009.

ديوان امرئ القيس. بلا تاريخ.

زواوي بغوره. *الفلسفة واللغة (نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة)*. المجلد ط1. بيروت: دار الطليعة، 2005.

فراس السواح. *موسوعة تاريخ الأديان (الشرق القديم) ،الكتاب الثاني ،مصر- سورية – بلاد الرافدين – العرب قبل الإسلام* . المجلد ط4. دمشق: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2017.

هلال الجهاد. *فلسفة الشعر الجاهلي*. دمشق: دار المدى، 2001.